الفصل الأول

وليمة العشاء الأخير للرب وتأسيس سر الإفخارستيا

ظلت ولائم العشاء اليهودية التقليدية تتواتر من يوم إلى يوم ومن جيل إلى جيل، والتطلُّع فيها وبها يجعل الإنسان يزداد تحرُّقاً لمجيء المسيَّا، إلى أن جاء وأقام بنفسه وليمة هي هي وليمة نفسه، وليمة المسيَّا، وليمة خبز السماء لكل الدهور.

1 ـ «**ولمَّا كان المساء اتكأ مع الاثني عشر**» (مت 20:26):

كان ذلك مساءً بحسب الطبيعة، أو بحسب الطقس اليهودي، أمَّا بحسب الحقيقة (أليثيا qeia«1¢) فكان فجراً مشرقاً للكنيسة في وسط ليل العالم المظلم، أنار لنا فيه المسيح طريق الخلود وسط تعثُّرات الدنيا.

أعطانا فيه ثقة أكيدة بالدخول إلى الأقداس العليا بالمغفرة وبالتطهير بدم العهد الذي أقامه بالسر قبل أن يقيمه بالصليب،

أطعَمَنَا فيه وبيديه الخبز الحي النازل من السماء الذي كل مَنْ يأكل منه لا يجوع إلى العالم ولا يموت بالخطية، بل يستوطن السماء.

نلنا فيه الحضور الدائم لشخص يسوع المسيح معنا، مصلوباً ومُقاماً، إلى انقضاء الدهر.

وفوق هذا كله أخذنا في هذه الليلة الموعد بانتظار فجر يوم آخر أكثر إشراقاً يأتي فيه المسيح، بمجده ومجد أبيه، مع ملائكته.

2 ـ «**فحين كان العشاء**» (يو 13 : 2):

هذا "**العشاء**" كان بحسب الطقس اليهودي وليمة عشاء يهودي أقامها معلِّم مع تلاميذ له من أخصِّ أحبائه، ولكن حينما جاء إلى كسر الخبز وإلى بركة الكأس قال ما لا يقوله بَشَرٌ، فقد باشر المسيح كهنوته الأزلي، وكشف السر المكنون منذ الدهور في مشورة الآب.

المائدة صارت أمامه مذبحاً، والخبز في يديه صار جسداً حيًّا مكسوراً وممزَّقاً، والخمر في الكأس تحوَّل إلى دمه، ووقف الكاهن مخضَّباً بدم نفسه، المسيح قدَّم نفسه ذبيحة. الحَمَل الذي ظل رؤساء الكهنة يطاردونه ليمسكوه ويقدموه قبل العيد «لئلا يكون شَغَبٌ في الشعب» (مت 5:26) سلَّم نفسه ليد الآب قبل أن يضعوا عليه الأيادي، وأكمل بالسر بيد نفسه مشورته الأزلية، وهم لا يزالون

يتشاورون عليه سرًّا، وسبق وذبح نفسه ـ بالنية ـ في وسط أحبائه قبل أن يصلبوه وسط لصَّين.

لقد حقَّق بالسر ما كان سيتحقق بالفعل، فأكمل الذبح على مستواه الأبدي قبل أن يُكملوه على مستواه الزمني، **حتى يظل الذبح بالسرِّ قائماً بعد انتهاء الفعل، وحتى تبقى ذبيحته قائمة بلا حدود ندخل إليها في السر كلما نشاء وأينما نشاء!!**

فالذبح الذي أكمله المسيح لنفسه رفع من قيمة الفعل الزمني الذي أكمله العالم فيه، فأعطاه صفة الدوام والشمول فوق الزمان والمكان، **حتى لا يُقال إن العالم هو الذي ذبحه على الصليب بل هو الذي ذبح نفسه لأجل حياة العالم.**

لم تَعُدْ مائدةً، ولم يَعُدْ عشاءً، ولم يَعُدْ طقس محبة لأخصَّاء محبوبين، بل مذبحاً ناطقاً سماوياً، وذبيحة سمائية لكل الدهور، ومسيح الحب للعالم كله، ووليمة أقامها ابن الله للبشرية قاطبةً، وعليها جسده مذبوحاً ودمه مسفوكاً.

3 – «أخذ يسوع الخبز وبارك ... وأخذ الكأس وشكر» (مت 26: 26و27):

بحسب طقس الولائم في العهد القديم، كانت البركة التي تُقال على الخبز ـ قبل كسره ـ معروفة، وكانت كلمات الشكر والتسبيح التي تُقال على كأس البركة بعد العشاء معروفة أيضاً، وكانت جميعها لا تخرج عن مباركة الله الذي أعطى الخبز والخمر لإسرائيل، ثم شُكْر الله الذي يعطي الطعام لكل ذي جسد!! (كما قرأنا في ولائم المحبة عند اليهود).

وكانت هذه البركات كلها قائمة على أساس العهد الأول، أي القديم، وكان هذا العهد قد أقامه الله مع إبراهيم على أساس أرض تُمتَلك كوطن، ثم أقامه مع موسى على أساس الفصح وطاعة الناموس (خر 8:24)، ثم أقامه مع داود على أساس مملكة ومدينة وهيكل، فكانت البركات التي تُقال والتضرُّعات التي تُقدَّم تدور كلها حول وعدٍ بأرض تعود، وذكرى فداء ومملكة تُشتهى، وهيكل يُفتخر به.

فكانت البركة التي تُقال على الخبز تمتد حتى تستعيد ذكرى الأرض الطيبة والآباء والمواعيد.

وكان الشكر الذي يُقال على الكأس في نهاية الوليمة يتحول إلى توسُّل لإعادة المُلك وبناء أورشليم والهيكل ومجيء المسيا.

(أ) «أخذ يسوع الخبز وبارك» (مت 26:26):

ولكن ماذا قال المسيح على الخبز، وكيف باركه، وبأي روح باركه، وأية قوة علوية كانت محيطة؟

هذا سر السر، ولكن المعروف جيداً أن لا أرضاً طيبةً ذُكرت، ولا وطناً يُقتنى تكلَّم عنه، ولا خيرات تُشتهى ولا ثمرات للأكل حتى الشبع أو كروماً للشرب والتغنِّي. لم يذكر الرب قط شيئاً من هذا، بل في بساطة وجلالٍ وهيبة مرعبة قال: «خذوا كُلُوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم!! »(1كو 24:11)

نحن الآن أمام جلالٍ إلهي، وطعام مرعب ومخيف في معناه، ينقلنا فجأة وبلا أي التباس من مفهوم طعام اللذة الجسدية وشراب الراحة البشرية ومن عصير الكرمة، إلى طعام سرِّي معجون بالآلام والأحزان وعليه كل الأوجاع البشرية التي تفوق حدود الأرض والأوطان الأرضية.

فالجسد الذي استعلنه المسيح بالبركة، والذي كسره بكسره للخبز، وعيناه نحو السماء، صار طعامنا الجديد المكسور لأجلنا الذي مصدره السماء التي انحدر منها، والتي هو فيها الآن، والتي صارت بالتالي وطننا.

وهكذا، كما كانت كلمات البركة القديمة على الخبز القديم في الولائم القديمة تربط ذهن إسرائيل القديم بالأرض الطيبة التي أخرجت هذا الخبز الشهي وتربطه بالتالي بالعهد المقطوع مع إبراهيم لتملُّك هذا الوطن المتزعزع؛ **هكذا صارت بركة المسيح الجديدة على هذا الخبز السمائي وعيناه نحو السماء تربط ذهن إسرائيل الجديدة – أي الكنيسة – بالسماء التي أخرجت هذا الخبز الحي، وتربط ذهنها أيضاً بالعهد الجديد المقطوع مع المسيح ابن الله بسفك دمه لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لنا في السموات، كوطن أفضل – أي دائم!**

(ب) «ثم أخذ الكأس وشكر» (مر 23:14):

نحن هنا في نهاية الوليمة «بعد العشاء» والكأس هنا تسمَّى «كأس البركة» فهو لم يكن فقط شكراً بمعنى الشكر بل كان أيضاً مُبَارَكة الله.

فمن أجل أي شيء شكر المسيح أو بارك على الكأس؟ هل من أجل الطعام الذي يُشبع كل ذي جسد؟ هل من أجل أن يردَّ المُلْك لبيت داود؟ هل لبناء أورشليم واستعادة مجد الخدمة والذبائح في الهيكل؟ أيعطي الرب دمه الإلهي الثمين ثمناً لتفاهات الإنسان؟ هل يمكن أن يكون الصليب ثمناً لمملكة داود أو فدية لبناء أورشليم أو توطئة لإعادة طقوس الذبائح من عجول وتيوس؟

إن مباركة المسيح وشكره على الكأس لم يكونا إلاَّ صورة عميقة لمشاعره من نحو الآب ومنظر الصليب أمامه، والهاوية والقيامة ومنظر ملايين المفديين من بني البشر يترنمون ترنيمة الخلاص وقد

بيَّضوا ثيابهم في دمه الثمين يتقدَّمون به إلى الآب!!

كل هذا كان في قلب الرب حينما مدَّ يده بالكأس إلى تلاميذه قائلاً: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين.» (مت 28:26)

كان هذا هو موضوع تسبيحه قبل أن يخرج إلى جبل الزيتون!!

(ج) «هذا هو جسدي ... هذا هو دمي» (مت 26: 26و28):

بهذه الكلمات المرعبة والمخيفة غيَّر المسيح في لحظة كل معالم ولائم العشاء التقليدية اللذيذة عند إسرائيل، وأوقف مفهوم الفرح والسرور بالأكل والشرب، وجمَّد كل المشاعر المسيَّبة نحو أمجاد مملكة أرضية، وحطَّم كل الطموح الكهنوتي لدى الشعب من جهة مجد هيكل سليمان وحلم سيادتهم به على العالمين. فها هوذا الملك الأبدي يموت، والكاهن الأعظم يذبح نفسه، والعهد الجديد يتأسس بدمٍ في كأس.

كانت كأس البركة القديمة تمتد بذهن إسرائيل المادي لتربطه بأمجاد مستقبل كلها أرضية زمانية للعظمة العنصرية، وكان المسيا هو محقِّق الآمال الموعودة. وهوذا الآن المسيح، مسيا الصليب والجروح والمسامير وكل الآلام والأحزان المدرَكة وغير المدرَكة، يمد يده بالكأس ليعطينا من داخلها سر المسيَّا الحقيقي، الذي ذُبح ليملك بالصليب، سر المجد الحقيقي، الذي دُفن في الأرض ليقوم بمجد الآب، سر التهليل والتسبيح بروح الكهنوت المغسول «بدم المسيح الذي بروح أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيب، **يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا** ''latreÚein'' لاتريفين (كلمة طقسية تفيد خدمة الكهنوت، ومنها اشتُقَّت كلمة leitourg...a ليتورجيا) **الله الحي**.» (عب 14:9)

4 ـ (أ) «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، **اصنعوا هذا لذكري**.» (1كو 24:11)

(ب) «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، **اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري**.» (1كو 25:11)

هنا الحد الفاصل الذي أنهى على كل معنى ومضمون للوليمة القديمة بطقسها القديم.

إذاً، فلا ذكرى أرض ولا وطن ولا مواعيد آباء ولا مملكة بيت داود ولا أورشليم ولا هيكل!!

فالخبز وقد صار جسد المسيح الحي والخمر وقد صار دم المسيح المحيي، انقطعت الصلات التي كانت تربطهما بأرض إسرائيل ومواعيد إسرائيل ومُلك إسرائيل وأورشليم وهيكلها.

فالوليمة لم يبقَ فيها بالروح إلاَّ خبز وخمر، والخبز أصبح جسد المسيح، والخمر أصبح دم المسيح!

والبركة على الخبز أصبح لا علاقة لها بالماضي، فقد ارتبطت بذكر المسيح الدائم لحضوره، والبركة على الكأس لا علاقة لها بالمستقبل، فهي ذكر أيضاً للمسيح، لحضوره. أو بمعنى أعمّ وأشمل، إن كل البركات والصلوات والتضرُّعات التي تُقدَّم على الخبز والخمر هي ذكر دائم للمسيح، بمعنى أنها مرتبطة به وحده كما هو مرتبط بها. فهما ـ أي الخبز والخمر ـ جسده ودمه، وهذا هو مضمون الحضور الدائم، وبذلك فهما، لا يختصان بأمور أو أشياء أو أشخاص مضت، ولا يتعلقان بآمال لم تتحقق ـ كخبز وخمر الولائم القديمة ـ بل إن خبز وخمر الإفخارستيا هما في الحقيقة مسيح حاضر، نأكله كلما أكلنا ونشربه كلما شربنا، ونذكره لأنه يكون حاضراً فينا بجسده ودمه وماثلاً أمام أعيننا بآلامه وبصليبه ... «**فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخْبِرون بموت الرب** ...» (1كو 26:11)

أمَّا ولائم المحبة التي طالما أقامها الأتقياء قديماً، المنتظرون عزاء إسرائيل عابدين بالجهد نهاراً وليلاً، فكانت الصلوات فيها شهادة دائمة على أن المسيَّا لم يأتِ بعد والكلمات والتضرُّعات فيها إخباراً دائماً عن توقُّف عزاء إسرائيل وعن امتناع إتيان النور والمجد.

ولكن، وقد جاء المسيح الرب مذبوحاً على مائدة المحبة اليهودية جاعلاً من خبز وخمر الوليمة العتيقة **فصْحاً** مسيحياً جديداً، صار خبزها بالضرورة شهادة دائمة على **موت** الرب، وكأسها خبراً مجسَّماً حَيًّا للصليب الذي سال فيه **الدم** الفصحي للعهد الجديد.

لقد صار لعشاء الرب عمل جديد مستمر إلى مدى الأجيال، عمل غير عمل الوليمة العتيقة، تلك كانت تُعمل لحساب إلحاحات جسدية لأمور مضت، وكل أملها في المستقبل كان هو تحقيق ما كان، أمَّا عشاء الرب فقد صار إخباراً بموته الذي تمَّ للفداء عن خطايا وجهالات ماضي الإنسان كله التي احتملها الله سابقاً بإمهال وطول أناة: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين!!» (مر 24:14)

فالإفخارستيا هي خبر موت، وذلك من واقع تقدمتها، فالخبز فيها جسد مكسور، والكأس فيها دم مسفوك.

الإفخارستيا نطقٌ فعلي حامل لوقائع الصليب بالسرِّ، حيث ضحيته الإلهية هي الجسد والدم!!

فالإفخارستيا يمكن اعتبارها مختصراً واقعياً يشرح على مستوى الأكل والشرب مفهوم التقليد المسلَّم حسب الكتب: «**المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب.**» (1كو 3:15)

خبر الموت أو الإخبار بموت الرب هنا ليس بشارة منطوقة بالفم وحسب بل وشركة في الموت. لأن الخبر هنا يختص بأكل وشرب جسد مكسور ودم مسفوك. فالخبر هنا عمل أو فعل مساوٍ لعمل المسيح الذي عمله في نفسه. فنحن نقول ما قاله المسيح ونعمل ما عمله المسيح، ثم نأكل الجسد ونشرب الدم، فالموت الذي أجراه المسيح في نفسه في جسده ودمه نُجريه نحن ونشترك فيه. فنحن نقدِّم له ما هو له تذكاراً لما فعله!! ونعمل ما عمله ليكون لنا شركة في ما عمله!!

لذلك فكل إفخارستيا نقيمها هي عشاء الرب وهي موت الرب، ليست لمجرد ذكرى، لأننا نشترك في الموت وننال كل المتحصلات منه ـ أي الخلاص والغفران.

وهكذا، فإن الكنيسة بإقامتها للإفخارستيا تعمل عمل الكرازة على أعلى مستوى، وحتى بين السمائيين!! «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي **صنعه في المسيح يسوع ربنا.**» (أف 3: 10و11)

إذاً، فعشاء الرب هو بحد ذاته بشارة متواترة بموت الرب، والاشتراك في هذا العشاء هو اشتراك في حقيقة قائمة وهي موت الرب لنوال كل بركات العهد الجديد: الجسد المكسور والدم المسفوك.

وستظل هذه الكرازة الفعلية بموت الرب بواسطة الإفخارستيا قائمة لازمة، طالما بقيت حاجة على الأرض للتوبة وطالما بقيت نفوس تطلب مغفرة الخطايا وبقي إيمان بعمل الجسد والدم وحضور الرب، إلى أن يأتي الرب!!

+ «**إلى أن يجيء**» (1كو 26:11):

إن وعد الرب بالمجيء من خلال تقديمه لجسده المكسور ودمه المسفوك هو حقيقة حضور قائم أكثر منه غياباً يُنتظر العودة منه، فالإفخارستيا تجمع معاً وبشدة مجيئه الأول ومجيئه الثاني، مجيئه الأول المتضع الذي أكمله سابقاً بالتجسُّد والصليب (وذلك في مضمون الخبز المكسور والمقدَّم الآن في الإفخارستيا **بصفته الخبز الحي النازل من السماء**)، مع مجيئه الثاني في مجده، لأن المسيح الذي أتى والمقدَّم الآن جسده ودمه في الإفخارستيا هو هو نفسه الذي سيأتي في التاريخ ليُنهي التاريخ والزمن، لذلك فحينما نأكله سرًّا في الإفخارستيا، نكون بالضرورة في استحقاق ملاقاته عند مجيئه الذي سيكمله في التاريخ.

لذلك، فمجيئه الآتي ليس إلاَّ استعلاناً لحضوره الكائن الآن فينا بالسر!!

1 – في الطقس الأرثوذكسي:
وليمة عشاء الرب مساء الخميس
هل كانت هي وليمة الفصح؟
وهل كان التقديس بالخبز المختمر ... أم الفطير ...؟

التقليد الأرثوذكسي الذي تسير عليه الكنيسة القبطية منذ أيام الرسل، وكما تسلَّمته من السيد المسيح، هو أن تقديس سر الإفخارستيا يكون بالخبز المختمر. وهذا على أساس أن السيد المسيح أسس سر الإفخارستيا **في اليوم السابق للفصح، أي قبل أن يحل ميعاد أكل الفطير**.

ولكي يفهم القارىء موضوع الفصح اليهودي والفطير وعلاقتهما بسر الإفخارستيا ينبغي أن يعرف الآتي:

حينما أراد الله أن يخلِّص شعب إسرائيل من العبودية في مصر، أمرهم – بفم موسى النبي – أن تَذبح كل عائلة خروفاً حَوْليًّا (أي ابن سنة)، ليكون دمه علامة الخلاص (فداء) لكل بكر في كل بيت. على أن يُمسح بدمه باب البيت: القائمتين والعتبة العليا حتى إذا نظر الملاك المُهْلكُ علامةَ الدم يعبر عن البيت، لأن الأمر كان قد صدر من الرب أن يضرب الملاك المهلك كل بكر في أرض مصر، كعقاب لمصر بسبب تشديد العبودية على شعبه إسرائيل.

أمَّا الخروف فيُذبح في الغروب، عشية اليوم الرابع عشر (اكتمال البدر) من الشهر الأول نيسان (ميعاد خروج شعب إسرائيل من مصر)، ثم يؤكل لحمه مشوياً بالنار فقط، ولا يُكسر منه عَظْمُه، ولا يبيتُ منه شيءٌ للصباح، ويؤكل على أعشاب مرَّة (تذكيراً بالمرارة التي عاناها شعب إسرائيل في العبودية).

وفي هذا اليوم – أي الرابع عشر من نيسان – يُرفع الخمير من كل بيت (يُعزل من البيوت). حتى إذا جاء المساء – ميعاد ذبح الخروف – لا يكون خمير في إسرائيل كلها (تعبيراً عن بدء حياة جديدة مع خلاص جديد، والتخلُّص من حياة قديمة).

ويُخْبزُ الفطير في ذلك اليوم ليؤكل على خروف الفصح. أمَّا معنى الفطير فهو كما يقول الكتاب: «لا تأكل عليه خميراً. **سبعة أيام تأكل عليه فطيراً، خبز المشقة، لأنك بعجلة خرجت من**

أرض مصر، لكي تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك.» (تث 3:16)

وتُحسب أيام الفطير أنها عيد قائم بذاته يبدأ من 15 نيسان حتى 21 منه مساءً. **وعيد الفطير مقدَّس**، يبدأ اليوم الأول منه بمحفل مقدَّس، وينتهي بمحفل مقدَّس، **لا يُعمل فيهما عمل ما**.

أمَّا خروف الفصح فيؤكل بعجلة، والأشخاص وقوفٌ، يؤكل رأسه مع أكارعه وجوفه، والباقي إلى الصباح يُحرق بالنار، يأكلونه وقوفاً وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيُّهم في أيديهم، يأكلونه بعجلة، فهو فصح للرب.

✞ ✞ ✞

الآن يظهر بوضوح أنه لو كان عشاء الرب الذي أسس فيه سر الإفخارستيا كان هو نفسه يوم الفصح الذي يُذبح فيه الخروف مساءً، لأصبح من المحتم أن يكون الخبز المستعمل في تقديس الأسرار فطيراً، لأنه يستحيل أكل الفصح على خبز مختمر.

الكنائس الأرثوذكسية (لا خلقيدونية وخلقيدونية) عموماً تقول إنها بموجب التقليد المسلَّم لها من الرسل، تقدِّس على خبز مختمر منذ القرن الأول مع إيمانها إيماناً راسخاً أن الرب أسس سر الإفخارستيا في اليوم السابق للفصح، **وكانت وليمته تسمَّى «وليمة قدَّاس الفصح»**[1]، لأن الكنيسة تؤمن عن يقين تقليدي وكتابي أن الرب صُلب يوم الفصح في ميعاد ذبح الخروف فصار بذلك هو الفصح المسيحي الجديد: «هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم.» (يو 29:1)

أمَّا الكنيسة الغربية ـ أي الرومانية الكاثوليكية ـ فقد ظلت تحافظ على هذا التقليد حتى القرن الحادي عشر[2]، ولكنها بعد ذلك رأت أن تغيِّر تقليدها مستخدمة الفطير بدل الخبز المختمر، مستندةً في ذلك على قراءة الأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا التي تشير قراءاتها بحسب الظاهر إلى أن عشاء الخمسين كان وقت الفصح 15/14 نيسان. وبذلك بدأ انشقاق في التقليد السرائري بين الشرق الأرثوذكسي والغرب الكاثوليكي، وبدأ موضوع القراءات الإنجيلية يدخل في صراع في مواجهة التقليد.

وقبل أن نخوض في الموضوع ونكشف أصالة التقليد الأرثوذكسي، ينبغي أولاً وقبل كل شيء أن

(1) W.H. Frere, *The Anaphora or Great Eucharistic Prayer*. p. 7.

(2) انظر كتاب: «أسرار الكنيسة السبعة» للمتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس، صفحة 113.

ننبِّه ذهن القارىء أن سر الإفخارستيا بدأت الكنيسة تمارسه بالخبز المختمر منذ حلول الروح القدس يوم الخميس. أمَّا الأناجيل والرسائل فحينما بُدِىء في كتابتها، كان ذلك بعد ممارسة الإفخارستيا بحوالي عشر سنوات!! أي أن الأناجيل إنما بدأت تسجِّل عن الإفخارستيا من واقع ما هو جارٍ أمام أصحاب هذه الأناجيل والرسائل. فلو كان هناك أي مفارقة بين إفخارستية الرب في عشاء الخميس، كأن تكون مثلاً على فطير، وبين التقديس على الخبز المختمر الجاري على أيدي الرسل مرقس وبولس ومتى ولوقا ويوحنا، لكانت قد أصبحت موضوع شرح وتعليق بلا نزاع!

2 ـ القراءات الإنجيلية وكيف تثبت جميعها أن الرب صُلب في ميعاد الفصح. وأن الإفخارستيا كانت قبل الفصح بيومٍ كامل ...؟

قبل أن نعرض للقراءات يهمنا أن يفرِّق القارىء بين قراءة لا تثبتها الحوادث الملابسة لها، وبين قراءة تثبتها الحوادث المرادفة لها وتشير إليها تكراراً، فالقراءة الأُولى تثير الانتباه من جهة احتمال عدم وضوح في الترجمة، أمَّا القراءة التي تشير إليها الحوادث من كل جهة فهي قراءة ذات ترجمة محصَّنة.

هذا ما سنواجهه من جهة القراءات في الأناجيل الأربعة، فإنجيل يوحنا أورد زمن إقامة سر عشاء الرب أنه قبل الفصح مساءً (أي 14/13 نيسان)، بوضوح شديد، وحدَّده تحديداً واضحاً. ثم عاد في عدة مواضع أخرى وأشار بوضوح شديد أيضاً إلى أن ميعاد صلب المسيح كان في وقت الفصح تماماً (أي 15/14 نيسان)، بحيث لم يَدَعْ القديس يوحنا أية فرصة للشك في ميعاد العشاء الذي أقامه الرب قبل الفصح بيوم كامل، ولا في ميعاد الصلب الذي تمَّ في وقت ذبح خروف الفصح.

أمَّا في الأناجيل الثلاثة الأخرى: مرقس ومتى ولوقا، فلا نجد الأمر كذلك، بل نجد أن رواية العشاء كلها ترد كخبر، مجرد خبر يتعلَّق كله بمنطوق كلمة واحدة هي كلمة «أول» «prîtV» بروتي» (وفي اليوم «الأول» من الفطير). ثم لا نجد بعد ذلك في أيٍّ من هذه الأناجيل الثلاثة أية محاولة إيجابية من الكاتب يُظهر أو يُعلِّق فيها على زمن العشاء أو على زمن الصليب بالنسبة للفصح اليهودي.

ولأنه معروف أن كلاً من متى الرسول ولوقا الإنجيلي أخذ روايته من جهة عشاء الرب من إنجيل مرقس، ومعروف أيضاً أن مرقس الرسول كان يرجع في رواية بعض الحوادث التي لم يشترك فيها إلى مصدر يترجم له من العبرانية والأرامية إلى اليونانية، لذلك اتجهت أنظار علماء الكتاب المقدَّس إلى إنجيل مرقس وبالأخص إلى كلمة «اليوم **الأول** من الفطير» التي تحدد زمن عشاء الرب كأنه واقع في الفصح. وفعلاً وجدوا أن لا الأصل العبري يفيد هذا المعنى ولا حتى الترجمة اليونانية. وهذا سنأتي إلى شرحه في حينه.

3 – البراهين الكتابية التي تؤيد أن عشاء الرب كان قبل الفصح بيوم، وأن صلب المسيح هو الذي تمَّ في ميعاد ذبح خروف الفصح.

أولاً: قراءة إنجيل يوحنا:

أ – «أمَّا يسوع **قبل عيد الفصح** وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى، فحين كان العشاء ...» (يو 13: 1و2)

هنا يورد يوحنا الرسول الخبر مدعَّماً بالزمن عن قصد، لأنه يشاء أن يعرِّفنا بميعاد العشاء بالنسبة للفصح.

ب – «**ثم قبل الفصح** بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا ... فصنعوا له هناك عشاءً ... **وفي الغد** (أي قبل الفصح بخمسة أيام) سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم، فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه (أحد الخوص).» (يو 12: 1و2و12و13)

إذاً، من هذه الرواية يُفهم ضمناً أن يسوع كان في بيت عنيا يوم السبت، وكان قد تبقَّى على الفصح ستة أيام، وبذلك أيضاً يكون عشاء الرب يوم الخميس قبل الفصح بيومٍ كامل بالضرورة!!

ج – «ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا **إلى دار الولاية وكان صبح**. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية **لكي لا يتنجَّسوا فيأكلون الفصح**.» (يو 18:28)

إذاً، من هذه الرواية يُفهم أن المسيح حُوكم وصُلب في اليوم الذي سيُذبح فيه الفصح مساءً أي يوم الجمعة.

وبذلك يكون عشاء الرب قبل الفصح بيوم كامل – أي يوم الخميس.

د – «ثم إذ كان استعداد، فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب (بعد غروب الشمس، أي عند بدء يوم آخر) **في السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً**، سأل اليهود بيلاطس أن

تُكسر سيقانهم ويُرفعوا.» (يو 19:31)

من هذه الآية يتبيَّن لنا من قول يوحنا الرسول أن «ذلك السبت كان عظيماً» أن يوم السبت (الذي يبدأ بعد غروب الشمس) كان هو عيد الفصح. فالسبت الوحيد الذي يُدعى عظيماً هو السبت الذي يقع فيه عيد الفصح.

إذاً، فالسيد المسيح صُلب قبل غروب الشمس، أي قبل بدء يوم السبت، أي يوم الجمعة.
وبذلك يكون عشاء الرب يوم الخميس قبل الفصح بيومٍ كامل.

هـ - «فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية ... **وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة.**» (يو 19: 13و14)

ومن هذا القول يتبيَّن بوضوح أن يوم الجمعة الذي هو يوم الاستعداد أصلاً بالنسبة للسبت، صار أيضاً استعداداً للفصح الذي يُذبح فيه خروف الفصح.

معنى هذا أن السيد المسيح صُلب يوم الجمعة، وهو يوم ذبح الفصح. وعليه يكون عشاء الرب قبل الفصح بيومٍ كامل.

ثانياً: قراءة أناجيل البشيرين الثلاثة: مرقس ومتى ولوقا:

أ – إنجيل القديس مرقس:

+ «وفي اليوم **الأول** من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعدَّ لتأكل الفصح ... فأعدَّا الفصح. ولَمَّا كان المساء جاء مع الاثني عشر. وفيما هم متَّكئون يأكلون ...» (مر 14: 12-18)

ب – إنجيل القديس متى:

+ «وفي أول أيام الفطير تقدَّم التلاميذ إلى يسوع ...» (مت 26:17)

ج - إنجيل القديس لوقا:

+ «وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح، فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدَّا لنا الفصح لنأكل ...» (لو 22: 7و8)

قد يفهم القارىء من هذه القراءات أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه، وكان هذا هو عشاء الرب الذي أسس فيه سر الإفخارستيا، هذا بحسب المنطوق اللفظي أو الحرفي لرواية الأناجيل الثلاثة.

ولكن لو دققنا في الأناجيل الثلاثة، فإننا لا نجد أية إشارة أخرى في مضمون الحوادث تسند هذا المفهوم المتأتي من كلمة «**في اليوم الأول من الفطير**» حسب إنجيل مرقس، أو في «**أول أيام الفطير**» حسب إنجيل متى، أو «**ولَّما جاء يوم الفطير**» حسب إنجيل لوقا (الذي أخذ بالمفهوم الظاهري من الترجمة اليونانية، والتي لا تفيد هنا أكثر من «لَّما اقترب يوم الفطير» .

أصل الكلمة في المفهوم العبري واليوناني أيضاً:

لو دققنا في مفهوم هذه الآية بحسب ترجمتها الحالية، نجد فيها التباساً واضحاً يخلُّ بالمعنى العام: « وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح.» (مر 12:14)

الواقع أن «في **اليوم الأول** من الفطير» لا يمكن أن «**يُذبح فيه الفصح**»، لأن هذا اليوم يكون حسب الطقس اليهودي هو عيد الفصح نفسه، وهو ثاني يوم بعد ذبح خروف الفصح، لأن الخروف يُذبح قبل الغروب والفصح يؤكل بعد الغروب، وغروب الشمس هو الحد الفاصل بين يوم ويوم آخر حسب الطقس اليهودي. لأن أول أيام الفطير هو 16/15 نيسان، وذبح خروف الفصح يكون في 14/ 15 نيسان.

+ «وفي الشهر الأول، **في اليوم الرابع عشر من الشهر فصحٌ للرب** (ذبح الخروف). وفي اليوم **"الخامس عشر"** (أكل الفصح وأول أيام الفطير السبعة) **من هذا الشهر عيدٌ، سبعة أيام يؤكل فطير**. في اليوم الأول محفلٌ مقدَّس، **عملاً ما من الشغل لا تعملوا**.» (عد 28: 16 ـ 18)

إذاً يتحتم على قارىء الآية أن يُعيد النظر في الترجمة الأصلية من العبرية وفي الترجمة من اليونانية أيضاً.

وهذا ما قام به مؤخراً العالِم الألماني «كولسن » Chwolsonوهو أول مَنْ انتبه إلى عدم دقة الترجمة، وأفاض في شرحه في كتابه المعروف بالألمانية بـ «وليمة الفصح» "*Passamahl*" صفحة 180 وما بعدها. وقد أثبت أن الترجمة اليونانية لم توضِّح القصد العبري تماماً. فالتعبير «اليوم الأول من الفطير» هو في الأصل العبري byum kmy dpsh وقراءتها بالعبرية تكون «بيوم قمي دبصح »ومعناها الحرفي: «وقبل يوم الفصح» أو «**يوم قبل الفصح**».

وقد جاء العالِم اليهودي المتنصِّر "يواكيم إرميا" (سنة 1964)، ووافق على هذا التصحيح في كتابه عن الإفخارستيا (صفحة 18)، ولكنه صحَّح لكولسون كلمة dpsh (فصح) بـ dptyry أي الفطير. فأصبحت الترجمة الجديدة التي ينبغي أن تكون عليه الآية في الطبعة الجديدة للكتاب المقدَّس هي: «وقبل يوم الفطير حين كانوا يذبحون الفصح»

والمعنى هنا هو: «**وقبل يوم (خبز) الفطير الذي هو يوم ذبح الفصح**»، فإذا كان خبز الفطير يوم الجمعة يكون ذبح خروف الفصح يوم الجمعة أيضاً، ويكون بالتالي اليوم الذي قبل الفطير هو يوم الخميس.

والحقيقة أن الكلمة اليونانية prîtV « بروتي» (مر 12:14)، تُفيد هذا المعنى أيضاً أي «قبل »[3] وهذا مما جعل القديس لوقا يكتبها في إنجيله: «ولمَّا جاء» أي «اقترب!» [4]

وبذلك تكون قراءة الأناجيل الثلاثة متفقة مع قراءة إنجيل يوحنا، إذ يكون المعنى «**وقبل يوم الفطير**» الذي يُذبح فيه الفصح، هو اليوم الذي قبل الفصح وقبل خبيز الفطير، حيث الجملة الموصِّلة هنا: «**الذي يُذبح فيه الفصح**» لا تعود إلى أول يوم من عيد الفطير بل إلى اليوم الذي يُنزع فيه الخمير ويُخبز الفطير.

وبذلك يكون الكلام واضحاً جداً: أن الرسول يشير إلى اليوم الذي قبل الفصح فعلاً: أي قبل يوم الجمعة 15/14 نيسان، وهو يوم الخميس 14/13 نيسان، بحسب إنجيل يوحنا.

(3) Liddell and Scott, Greek-English Lexicon, Oxford, 1972, p. 702.

(4) انظر المراجع الأجنبية التي أوردها المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس في كتابه: «أسرار الكنيسة السبعة» ـ صفحة 122.

4 ـ الرد على القول بـــ «فأعدَّا الفصح» (مر 16:14) والقول بـــ «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم.» (لو 15:22)

حينما يقول الكتاب: «أين تريد أن نمضي **ونعدَّ** لتأكل الفصح ... **فأعدَّا** الفصح» هنـــا الإعـــداد للفصح بمعنى الاستعداد ليوم الفصح، لأن أموراً كثيرة ينبغي أن تُرتَّب قبل ذلك اليوم. لأن الإعـــداد للفصح عملية معقَّدة عند اليهود، ويستحيل أن تتم في نصف نهار. أو كيف يسافر بطرس ويوحنا من بيت عنيا إلى أورشليم ويبحثا عن بيت مرقس، ثم في نفس الصباح يقومان بشراء الخـــروف الـــذي يتحتَّم أن يُذبح في الهيكل، ثم يقومان بعملية تنظيفه وشيِّه في فرن خاص بشروط خاصة، لأن الطقس يحتِّم أن يُشوَى الخروف صحيحاً بأكمله حتى جوفه وأكارعه، وذلك بأن تخترق عصا رمان من الفم حتى المخرج ويصير شَيُّهُ دون أن يلامس تراب الفرن، مع مطالب العيد الأخرى من أعشاب مـــرَّة وأطباق مأكولات يحتِّمها الطقس؟

إن كلمة («وأعدَّا» الفصح) هي في الواقع طقسية، وتُفيد الانتهاء من الترتيبات الخاصة بيوم «**الاستعداد للفصح**»، حيث تتم في كل ساعة من ساعاته عملية معينة. لذلك فإن كلمة «**أعدَّا**» الفصح لا تعني أنهما ذبحا الخروف وهيَّآه للأكل في ساعة من الزمان، فهذا غير معقول، وإنما يعني أنهما أكملا الترتيبات اللازمة للفصح، لأن مساء الخميس هو في الواقع بداية «يوم الاستعداد الكبير» للفصح الذي هو يوم الجمعة، وقـــد جعل منه السيد المسيح استعداداً آخر جديداً إذ أعدَّ فيه نفسه لذبيحة الصليب.

فكان مساء الخميس يوم استعلان للفصح الأبدي، وكان عشاء الخميس هو هو يوم مـــا قبـــل الصليب، حيث الصليب هو هو الفصح الحقيقي المزمع تقديمه على الصليب يوم الجمعة.

وعلى أساس ما أضمر المسيح أن يكمله في عشاء الخميس من استعلان الذبيحة وتقـــديم نفـــسه لتلاميذه وللكنيسة حملاً مذبوحاً لأجل حياة العالم ولمغفرة خطايا كثيرين، وعلى أساس ما كان يعلَمه المسيح من حوادث الجمعة العنيفة الدامية، وجسده أمام عينيه ممزَّق ودمه مـــسكوب علـــى الأرض بأيدي الكهنة ورؤساء الكهنة قال: «شهوة اشتهيت أن آكل **هذا الفصح** معكم قبل أن أتـــألم» (لـــو 15:22). ومعلوم يقيناً أن المسيح لا يشتهي أكلاً ولا يشتهي عيداً، ولكنه كان يشتهي، منذ البدء وقبل أن يتجسَّد، أن يؤسس فصحاً جديداً. «**هـــذا الفـــصح**» يكـــون الأكـــل والـــشرب منـــه

أكلاً وشرباً حقيقياً (lhqîj¢ أليثوس): «جسدي مأكلٌ حقٌّ ودمي مشربٌ حقٌّ» (يو 6 : 55)، حيث كلمة «حقيقي» هنا lhqîj¢ تُفيد أكلاً وشرباً إلهياً من خلال أكل وشرب مادي.

وهذا هو مضمون «السر» في عشاء الرب الذي أصبح به «هذا العشاء «» فصحاً حقيقياً» جديراً بأن يُشتهى بالحقيقة!! حيث صار الخبز والخمر لحمَ ودمَ حملِ الله، فصحِ الدهور والأبدية، الذي يرفع خطية العالم.

ومرة أخرى نقول: إنه يقيناً لم يكن المسيح يشتهي أن يأكل لحم خراف ولا كان يود أن يستمتع بذكريات مصر وسيناء مع تلاميذه، بل اشتهى أن يكشف لهم سر الفصح الكبير، فصح العالم كله، «مُشتهى الأمم» الفصح السماوي الجديد حيث كان حمل الله يُجرَى الاستعدادُ لذبحه في السماء كما على الأرض. فالمسيح اشتهى شهوةً أن يطعمهم لحمه السماوي بيديه قبل أن يذبحه اليهود بأيديهم. وهل توجد شهوة عنده أو حب له أعظم من هذا أن يذبح نفسه من أجل أحبائه، ألم يقل هو نفسه هذا (يو 13:15)؟ والآن لقد اشتهى أن يكسر بينهم الخبز السري النازل من السماء، الذي طالما حدَّثهم عنه، حتى عند أكل الخبز تنفتح عيونهم ويعرفوه، قبل أن يتألم!!

اشتهى شهوةً أن يَسْفُك دمه ويسقيهم منه قوة الحياة التي للعهد الجديد، ليبقى حيًّا فيهم بقوة قيامته فيكون لهم حياة أبدية في أنفسهم، حتى يقوموا ويلحقوا به في السماء ليكمل معهم الفصح الأبدي في ملكوت الآب، ويجلسوا معه على مائدته! هذه كانت شهوة المسيح التي اشتهاها لنا!!! ... «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله» (لو 22: 15و16)، حتى يكمل الخروج الأخير من العالم لشعبه ويدخلوا الملكوت معه!

ويرى العالِم L. von Sybel في مقال له بعنوان: Das Letzte Mahl Jesu [في مجموعة الدراسات اللاهوتية والنقدية – ليبزج، رقم 95 (1923– 1929)، ص 119] إن ما سجَّله القديس لوقا في إنجيله الوارد في أصحاح 22: 15و16، والمذكور أعلاه، هو في الحقيقة تقليد كنسي كان قائماً في الكنيسة وقت تسجيل القديس لوقا لإنجيله. ويقوم هذا التقليد[5] على أساس أن الرب قال هذا على أكل الخبز (الفصحي)، وليس على أكل خروف الفصح.

(5) هذا التقليد كان منذ أيام القديس لوقا الإنجيلي. وهو أن الكنيسة في ليلة عيد الفصح المسيحي من كل سنة (عيد القيامة) تظل تصلِّي صائمةً حتى بعد منتصف الليل، في انتظار عودة المسيح، حسب الاعتقاد السائد أن المسيح سيحضر في عيد القيامة في منتصف الليل ليكمل الفصح في ملكوت الله الذي سيُستعلن حسب وعده بمجيئه. فإذا لم يحضر حتى أول صياح الديك (الساعة الثالثة صباحاً)، يُقيمون الإفخارستيا باعتبار أنه سيشترك معهم كالعادة، في انتظار سنة أخرى.

وجاء العالِم Bultmann وأثبت هذا الرأي أيضاً في كتابه:
The History of the Synoptic Tradition, Oxford, 1963, p. 266.

وجاء أيضاً العالِم الفرنسي A. Loisy وتحيَّز بثقة إلى هذا الرأي.

وهكذا وجدنا أن التقليد القائم في الكنيسة الأرثوذكسية اليوم، تنحاز له الأبحاث اللاهوتية العميقة، وأنه كفيلٌ بأن يُستظهر على كل نقد، لأنه في الحقيقة منبع قائم بذاته سابق على تسجيل الأناجيل وعلى كل الرسائل، وخصوصاً من جهة سر الإفخارستيا ... فالرسل أقاموا سر الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس مباشرةً، بحسب ما تسلَّموه من الرب، وقبل أن تُسجَّل كلمة واحدة في كافة الأناجيل أو الرسائل!

ومن جهة القراءات أيضاً، فإنه توجد بعض إشارات عابرة في كتب الأبوكريفا التي يرجع تاريخها إلى القرون الأولى، تحدِّد بوضوح ميعاد الصلب بالنسبة لعيد الفطير، وقد جاءت عفواً. ففي كتاب الأبوكريفا المدعو «إنجيل بطرس» 5:2 يقول: [إن محاكمة الرب وصلبه تمَّت قبل أول يوم من عيد الفطير][6]. وهذا القول ـ وإن كنَّا لا نعتمد عليه ـ إلاَّ أنه يشير إلى التقليد السائد في ذلك الزمان عن ميعاد الصليب بالنسبة للفصح اليهودي، فهذا القول يوضِّح أن الكنيسة كانت على دراية أكيدة من أن المسيح صُلب في ميعاد الفصح تماماً، وأن عشاء الرب كان قبل الفصح، وبالتالي فإن التقديس يكون على الخبز وليس على الفطير.

وكانت هذه الوليمة السابقة على يوم الفصح تسمَّى: «قدَّاس الفصح.»[7]

(6) M. R. James, *The Apocryphal New Test.,* Oxford, 1924, p. 91.
(7) W. H. Frere, *The Anaphora*, p. 7.

5 – البراهين الأخرى
التي تثبت صحة التقليد الأرثوذكسي

عدا القراءات التي جاءت في إنجيل يوحنا بوضوح، نقدِّم الآن البراهين الأخرى المترتبة على القراءات والتي تشير كلها إلى أن عشاء الرب لم يكن فصحاً يهودياً، وأن المسيح صُلب في ميعاد ذبح الخروف:

أولاً: ينبغي أن نهتم بالفارق بين مفهوم الفطير ومفهوم الخبز في الإفخارستيا، فلا ينبغي أن يُؤخذ بخفة، لأن المعنى الذي يحمله كبيرٌ، فالفطير له علاقة معنوية ينبغي أن تبقى في حدود الفصح اليهودي فقط. لأن الفطير في الفصح – بحسب الكتاب – يمثِّل «**خبز الشقاء**»، وبالعبرية: Lehem Oni «لِحمْ عُنِي» ومعناه «خبز عناء» وترجمته اليونانية ¥rtoj kakèsewj (تث 16 : 3)، لأنه رُفع من المعجنة قبل أن يختمر أو قبل أن توضع فيه خميرة بسبب السرعة والعجلة للخلاص من العبودية والشقاء: «لا تأكل عليه خميراً. سبعة أيام تأكل عليه **فطيراً، خبز المشقة، لأنك بعجلة خرجت من أرض مصر**، لكي تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك.» (تث 16 : 3)

ولكن الآن ونحن في الإفخارستيا، التي هي الفصح الحقيقي، الجديد، نحن لا نأكل «لِحمُ عُنِي »أي «خبز الشقاء» بل خبز البركة، الخبز الحي النازل من السماء، وليس ذاك الآتي من مصر.

فجسد المسيح لا يمكن أكله على هيئة فطير، أي خبز عناء، لأنه ليس أرضياً بل هو سماويٌّ ومؤدٍّ إلى السماء، فهو خبز الراحة الحقيقية واسمه «خبز البركة والشكر» و «ترياق الخلود» أي دواء عدم الموت، بل وعدم الشقاء، بل وعدم الحزن أو الكآبة أو التنهد أو حتى المرض. فالذي يأكله لا يجوع ولا يموت، فهو إذاً خبز الفرح والسرور والشفاء، وليس خبز المذلة والضيق والشقاء.

لذلك فإن موقف الطقس الأرثوذكسي من وليمة **الفصح اليهودي** موقف سليم، إذ لم يجعلها منطلقاً ولا أساساً للإفخارستيا، لأنه كيف يُعلَن الجسد المقدَّس في خبز عناء وشقاء؟

ثانياً: مرقس الرسول يقول في إنجيله: «أخذ يسوع خبزاً ¥rton وبارك وكسر» (مر 14 : 22)،

و لم يقل «أخذ فطيراً ¥zumon.» [8]

والتقليد المسلَّم للكنيسة القبطية على يدي مرقس الرسول نفسه وهو إنجيلي، حدَّد أن يكون خبز الإفخارستيا خبزاً لا فطيراً، فتواتر الطقس الأرثوذكسي منذ منتصف القرن الأول، وهو يقوم عملياً على أساس تقديم خبز لا فطير في الإفخارستيا، جعل قراءة إنجيل مرقس الرسول وبقية الأناجيل فيما يختص بكلمة الخبز الواردة بوضوح ¥rtoj وليس فطيراً ¥zumoj تشير إلى أن الإفخارستيا أقامها المسيح فعلاً بخبز مختمر وليس فطير.

فالتقليد يشدِّد ويحدِّد من قصد الكلمة الواردة في الأناجيل. لأن الاعتراضات التي يقدِّمها بعض العلماء على كلمة ¥rtoj الواردة في الأناجيل أنها قد تفيد أيضاً خبز الفطير ـ قياساً على ما جاء في الأسفار قديماً من احتمال ذكر كلمة «خبز» بدل «فطير» للاختصار، نقول إن هذه الاعتراضات قائمة على أساس مجرد قراءة الكلمة. ولكن بعد وقوف التقليد الأرثوذكسي من هذه الكلمة باستخدامه الخبز المختمر عملياً منذ القرن الأول المسيحي، أصبحت احتمالات القراءة الأخرى مستبعدة.

ثالثاً: الإفخارستيا، كما ظهرت في أول صورة لها في الكنيسة الأُولى في سفر الأعمال، ظهرت باستخدام الخبز لا الفطير، دون أي إشارة إلى طقس الفصح. فلم نقرأ مرة واحدة عن إقامة إفخارستيا بطقس الفصح أو بالفطير في كل الأخبار الواردة في الإفخارستيا المعبَّر عنها بكسر الخبز.

وهذه هي صورة أول إفخارستيا بعد يوم الخمسين مباشرةً:

+ «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات.» (أع 42:2)

وهذه الآية كلها تصوير لخدمة قدَّاس كامل. فالتعليم أولاً، ثم الاجتماع معاً حول المائدة (الشركة هنا كلمة طقسية: koinwn…a كينونيا)، وكسر الخبز (تعبير سفر أعمال الرسل عن سر الإفخارستيا)، والصلوات (أي تلك التي تُتلى بعد التناول).

فلو كانت الإفخارستيا قد أسسها الرب من خلال طقس الفصح أو انطباقاً عليه، لكانت إقامتها تستلزم دائماً خبز الفطير، كما وكان يتحتم أن يأخذ صورة سنوية، أو لكان زمن إقامتها السنوي يُعتبر أساساً.

ولكن الواقع أن تكرار إقامة الإفخارستيا في الكنيسة الأُولى منذ أول يوم كان على الخبز، وبدون

(6) تُقرأ بالأرامية Pattira باطيرة (فطيرة)، وتقرأ بالعبرية Massah ماصَّاح.

أي قيد زمني، وفي أي وقت من النهار (وهذا مهم للغاية)، هذا كله يشير إلى أن تأسيسها كان حرًّا من أي طقس سابق، وأنها كانت من خلال وليمة شركة ومحبة حرَّة غير مرتبطة بطقس الفصح اليهودي.

رابعاً: في رواية العشاء السري في الأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا، ثم الرواية الواردة عن الإفخارستيا في رسالة القديس بولس الرسول الأُولى إلى كورنثوس، لا نجد أية إشارة إلى طقس فصحي على الإطلاق، فلا ذكر لخروف الفصح ولا لأعشاب مرَّة ولا لأكل بعجلة ولا لحديث الفصح التقليدي Heggadah.

بل على العكس، فإن الإنجيليين الأربعة يوضِّحون أنه اتكأ والإثنا عشر وابتدأوا يأكلون، فالاتكاء هنا يشير إلى أنها كانت ليست وليمة فصح حيث يأكل فيها الجميع، وهم وقوف، متمنطقين، وعلى عجلةٍ، وإنما كانت وليمة عشاء حدَّد المسيح طقسها وروحها كبداية وأصل.

أمَّا اعتراضات بعض العلماء (وهم من أعاظم العلماء في الإفخارستيا) بخصوص الإفخارستيا التي كانت تقيمها الكنيسة الأُولى، أنها كانت تكراراً للولائم العادية التي كان يقيمها المسيح مع تلاميذه وأنها لم تكن تكراراً للعشاء الأخير(9)، فهو قول مرفوض، لأن الكنيسة تؤمن بإفخارستيا واحدة، أُقيمت مرَّة، وهي هي التي تُقام كل مرة، لأن الذي يقيمها هو المسيح وبحضور تلاميذه وملائكته وقديسيه مع شعب كل كنيسة. فحضور الرب في كل إفخارستيا، وكون كل إفخارستيا هي نفس جسد المسيح ودمه، يُنهي على كل ثنائية في شكل الإفخارستيا وجوهرها.

ثم إنه في قول المسيح ـ في تقليد بولس الرسول الذي سجَّله عن الرب نفسه: «فإنكم كلما أكلتم **هذا** الخبز وشربتم **هذه** الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 26:11)، تفيد كلمة («هذا» الخبز) وكلمة («هذه» الكأس)، أنه خبز واحد وأنها كأس واحدة لطقس واحد قد تعيَّن إلى الأبد، فكل إفخارستيا قامت وستقوم هي «**هذا**» الخبز نفسه و «**هذه**» الكأس عينها **لهذا** الطقس ذاته الذي أقامه المسيح مساء الخميس!

خامساً: إن كل أوصاف «عشاء الرب» كما جاءت في الأناجيل وفي رسالة كورنثوس الأُولى، تتنافى مع أوصاف طقس الفصح اليهودي كما جاء في العهد القديم وفي كل كتب اليهود الطقسية سواء كانت «المِشْناه» أو غيرها.

(9) Joachim Jeremias, The *Eucharistic Words of Jesus,* pp. 66, 67, citing E. Schwartz, Willhausen, Lietzmann, Schlatter.

(أ) ففي وليمة الفصح لا يُكسر (الفطير) إلاَّ بعد العشاء الرسمي؛ في حين أن الخبز في عشاء الرب ذُكر أن الرب قسَّمه قبل العشاء(10).

(ب) في وليمة الفصح وحينما يأتي ميعاد (الفطير)، وهو يكون في نهاية العشاء، لا تُقال عليه البركة قبل الكسر، بل بحسب الطقس اليهودي يُكسر أولاً ثم تُقرأ عليه البركة؛ في حين أن الذي ذُكر في إنجيل القديس مرقس هو أنه بارك أولاً ثم كسر، وكذلك بقية الأناجيل(11).

(ج) في وليمة الفصح لا يوجد كأس تتوزع على جميع الحاضرين، بل كل واحد يكون له كأسه وتكون له صحفته؛ بعكس ما جاء في الأناجيل أن المسيح بارك كأساً واحدة وأعطاها للتلاميذ ليشربوا منها كلهم(12).

(د) وكذلك يُفهم أيضاً أنه كان يوجد صحفة واحدة يغمس فيها الجميع (مر 14:20).

(هـ) في وليمة الفصح يتحتَّم توزيع أربع كؤوس أثناء الوليمة، لم يُذكر منها في الأناجيل إلاَّ كأس واحدة؛ أمَّا في إنجيل لوقا فقد كُشف عن وجود كأس آخرى في بداية العشاء قبل كسر الخبز، وهذا غريب عن طقس الفصح جملةً ـ وقد رفض المسيح أن يشرب منها باعتبار أنها مجرَّد كأس للشرب من نتاج الكرمة وحسب، أي لا يدخل في مضمون تأسيسه للسر المقدَّس القائم على كأس واحدة تحوي دم العهد الجديد. وهذا معروف ـ حسب الطقس القبطي ـ أنه ذاق منها ثم أعطاها للتلاميذ بعد البركة.

سادساً: ومما يزيد وضوح حقيقة أن عشاء الرب لم يكن ليلة الفصح، ما جاء في إنجيل القديس مرقس بخصوص تصميم رؤساء الكهنة أن لا يُقبض على المسيح في يوم العيد: «وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه، **ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب.**» (مر 14: 1و2)

وهذا يوضِّح أن المسألة تختص بقرار صدر من السنهدرين أن لا يُقبض عليه في العيد، ليس فقط لاعتبارات الخوف من ثورة يقوم بها الشعب ضد السلطة الدينية ولكن أيضاً بسبب اعتبارات طقسية هامة. إذ لا يجوز عمل ذلك في العيد بحسب الشريعة.

---

(10) M. Goguel, *L'Eucharistie, des origines à Justin*; J. Lightfoot, *Exercitations* of Matt. 26.26.

(11) M. Haller; F. Spitta; K. G. Goetz, cited by J. Jeremias, *op. cit.,* p. 68.

(12) Bultmann, *Tradition,* p. 264; Finegan, *berlieferung*, p. 66; Billerbeck, I. 989.

لذلك كيف يُحتمل بعد ذلك أن يُقال أن المسيح قُبض عليه مساء العيد وحوكم يوم العيد نفسه وتمَّ الصلب أيضاً يوم العيد؟ (13)

إذاً، يكون الطقس الأرثوذكسي في الجانب الأقوى، من حيث ظروف الحوادث الإنجيلية ومن جهة الشريعة اليهودية أيضاً. فالمسيح أسَّس الإفخارستيا قبل الفصح، وقُبض عليه قبل عيد الفصح، وحوكم قبل عيد الفصح، وتمَّ صلبه مع ذبح الخروف!

إن هذا يتمشَّى ليس مع الشريعة فحسب، بل ومع كافة النبوات أن المسيح هو الفصح الجديد « الواحد الذي يموت عن الشعب حتى لا تهلك الأمة كلها» (راجع يو 50:11) بحسب نبوَّة رئيس الكهنة العفوية.

سابعاً: جاء في إنجيل القديس يوحنا: «لكم عادة أن أُطلق لكم واحداً في الفصح، أفتريدون أن أُطلق لكم ملك اليهود؟ فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين: ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصًّا. »(يو 18: 39و40)

وأصل هذه العادة هو اهتمام الطقس اليهودي بفك قيد مسجون واحد في العيد تعبيراً عن أن الفصح هو بمثابة فك قيود شعب إسرائيل من مصر!! فكان السنهدرين يتكفَّل بذبح خروف خاص **كفصح** رمزي عام إكراماً لهذا المسجون.

إذاً، فواضح أن إطلاق سراح باراباس اللص، **ليأكل الفصح مع اليهود**، هو برهان أن المسيح حوكم وصُلب **يوم ذبح الفصح**، وبذلك يكون عشاء الرب قد سبق الفصح بيوم كامل.

ثامناً: لقد أورد بولس الرسول في رسالته الأُولى لكورنثوس إشارة واضحة جداً، إنما على المستوى الميستيكي أي الروحي التأملي: أن المسيح صُلب في ميعاد ذبح الخروف وصار هو فصحنا الجديد: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (1كو 7:5)

وبما أن الخروف لا يُدعى فصحاً إلاَّ إذا ذُبح في ميعاد الفصح، لذلك فإن ذبيحة المسيح لا يمكن تسميتها فصحاً إلاَّ إذا كانت قد قُدِّمت في ميعاد الفصح تماماً، أي من الساعة السادسة من النهار

(13) Wellhausen, *Evang. Marci*, p. 108; Schwartz; C. G. Montefiore; M. Dibelius, *From Tradition to Gospel*, p. 191; T. Preiss, *Life in Christ,* p. 82.

(أي الثانية عشرة ظهراً) حتى الساعة التاسعة من النهار (الثالثة بعد الظهر)[14].

وهذا ما تمَّ بالفعل. بل وإن الإفخارستيا، أي سر عشاء الرب، قُدِّم على أساس أن المسيح سيكون هو خروف الفصح، بعكس ما يحاوله بعض العلماء أن يركِّزوا على عشاء الرب أنه هو الفصح. هذا لا يجوز من وجهة المنطق الروحي الدقيق، **فالإفخارستيا لا يمكن أن تكون فصحاً إلاَّ إذا كان المسيح فصحاً!!**، فلأن المسيح علم يقيناً أن ساعته قد جاءت وعلم يقيناً أنه سيُسلَّم ويُصلب في الفصح، قدَّم جسده مُسْبَقاً مكسوراً بالنية والإرادة الأزلية ومشورة الآب، باعتباره أنه هو لحم الفصح السماوي، وقدَّم دمه بروح أزلي متجاوزاً الزمن، باعتباره أنه هو دم الفصح المنجِّي من الهلاك والموت الأبدي.

إذاً، لولا يقين المسيح بأنه سيُقدَّم في الفصح ذبيحة إلهية لأجل خلاص العالم ما كان جعل عشاء الخميس ذبيحة سرية على مستوى الفصح، أي «جسد ودم» !

تاسعاً: كذلك أورد بولس الرسول إشارة في غاية العمق الروحي من جهة المضمون الطقسي لا يدركها إلاَّ الدارسون للطقس القديم. فهو يقول في رسالته الأُولى إلى كورنثوس: «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار **باكورة الراقدين**» (1كو 15:20). هنا كلمة «**باكورة**» ''Bikkurim'' كلمة طقسية تتبع في فهمها وشرحها الطقس الذي انحدرت منه إلينا. فما هو طقس «الباكورة» وما هو ميعادها؟

معروف في طقس الباكورة أنها أوائل حصيد القمح (الحبة التي كانت قد وقعت في الأرض وماتت)، تُقدَّم كحزمة فريك وذلك في غد السبت الذي يتبع الفصح ـ أي 16 نيسان ـ كما جاء في سفر اللاويين:

+ «في الشهر الأول (نيسان) **في الرابع عشر من الشهر**، بين العشاءين (الغروب والمساء) فصحٌ للرب. **وفي اليوم الخامس عشر** من هذا الشهر عيد الفطير للرب سبعة أيام ... تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن، فيردِّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم في **غد السبت** يردِّدها الكاهن، ... ثم تحسبون لكم من غد السبت السابع من يوم إتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة إلى غد السبت تحسبون خمسين يوماً، ثم تقرِّبون تقدمة جديدة للرب.»

(14) بحسب توقيت يوسيفوس المؤرخ ''من 3ـ5 بعد الظهر''، أمَّا بحسب توقيت فيلو الفيلسوف اليهودي ''فمن الظهر حتى الغروب''.

(لا 23: 5-6 و9-16)

إذاً، فالقديس بولس الرسول بعد أن ألمح إلى 14 نيسان أن المسيح هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا، عاد وألمح في صورة مبدعة إلى 16 نيسان بقوله أن المسيح صار أيضاً باكورة الراقدين، أي أن المسيح قام من الأموات في يوم تقدمة الباكورة. وبما أن الباكورة تُقدَّم في غد السبت (أي يوم الأحد) بعد الفصح، إذاً، فبولس الرسول بقوله أن المسيح كان باكورة الراقدين، فهو يعني تماماً قيامة المسيح يوم الأحد، وبالتالي يشير ويؤكِّد الإشارة إلى أنه مات يوم الجمعة 14 نيسان في ميعاد ذبح الفصح!!

ففي الإشارة الأُولى التي يقول فيها إن المسيح فصحنا، يشير إلى المسيح باعتباره حمل الفصح المذبوح في 14 نيسان، وفي الإشارة الثانية التي يقول فيها إنه باكورة الراقدين يشير إلى المسيح باعتباره حبة الحنطة التي كانت قد وقعت وماتت ثم قامت، وتم ترديدها أمام الله في غد السبت (الأحد) 16 نيسان!!

عاشراً: قول بولس الرسول عن ميعاد الإفخارستيا: «في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً ... »(1كو 11:23)، يشير إشارة ضمنية ولكن ذات اعتبار خاص، أنها لم تكن ليلة الفصح، وإلاَّ كان ذكر أن ذلك تم في ليلة الفصح. فإغفال بولس الرسول للفصح نهائياً يشير إلى أنها لم تكن ليلة الفصح.

حادي عشر: تقول الشريعة بكل وضوح وتأكيد إن من بدء أكل الفصح في العشاء، أي بعد غروب شمس اليوم الثالث عشر من نيسان بما يساوي دقيقتين (بتوقيتنا الزمني الحالي) ومنذ بدء أكل الفطير في نفس وقت الفصح، يُحسب سبعة أيام لا يكون فيها عمل من الأعمال: «عملاً ما من الشغل لا تعملوا» وعلى وجه الخصوص اليوم الأول الذي يبدأ بعد غروب 13 نيسان مباشرةً، وكذلك يوم 21 اليوم الأخير، فإنهما محسوبان محفلاً مقدَّساً للرب، وعليهما تشديد وعقوبة في الناموس:

+ «لا يُعمل فيهما عمل ما إلاَّ ما تأكله كل نفس، فذلك وحده يُعمل منكم.» (خر 12:16)

فكيف يُجيز القائلون بأن الإفخارستيا – أي عشاء الرب – كانت هي وليمة الفصح وكانت هي أول أيام الفطير؟ ويكون قد حدث فيها الآتي:

1- «وخرج (يسوع) مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه »(يو 18:1). فهل يمكن أن تكون هذه ليلة الفصح؟

2- «فأخذ يهوذا الجند وخدَّاماً من عند رؤساء الكهنة **والفريسيين**، جاءوا إلى هناك **بمشاعل، ومصابيح، وسلاح!**» (يو 18:3)، ويقول إنجيل لوقا إنه كان معهم «**رؤساء الكهنة**

والشيوخ» (لو 52:22)، وحتى التلاميذ حملوا معهم سيفين!! «فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان!!» (لو 38:22). بل وضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف: «وضرب واحدٌ منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أُذنه اليمنى» (لو 50:22). فهل يمكن أن تكون هذه ليلة الفصح؟

3- وهل يمكن أن ينعقد السنهدرين ليلة الفصح، وينشغل في المحاكمة حتى الصباح! حتى صياح الديك الثالث!! وقانون السنهدرين واضح وصريح أنه لا يجلس أحد للحكم يوم العيد[15]؟؟

4- وهل يمكن أن يستمر صباح يوم عيد الفصح في المحاكمة؟ «ولمَّا كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب: رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم!!» (لو 66:22)

5- وهل يمكن في عيد الفصح المحسوب محفلاً مقدَّساً أن يمزق رئيس الكهنة - أثناء المحاكمة - ثيابه: «فمزَّق رئيس الكهنة ثيابه؟» (مر 63:14)

6- وهل يمكن أن يشترك اليهود شعباً وشيوخاً وكتبةً وفريسيين مع الرومان في المحاكمة يوم عيد الفصح؟

7- وكيف يمكن أن يأتي سمعان القيرواني من حقله البعيد عن المدينة (من الشغل) يوم عيد الفصح ظهراً؟ وكل المسموح به للمشي لا يزيد عن 880 متراً فقط والتي لا تكفيه أن يخرج من باب أورشليم؟

8- وهل يجوز الحكم بصلب إنسان يهودي يوم عيد الفصح بحسب شريعة اليهود؟

9- وكيف يجوز ليوسف الرامي، وهو مشير بين اليهود، أن يشتري يوم الفصح كتاناً من السوق ليكفِّن يسوع، وأي سوق هذا الذي يفتح أبوابه يوم فصح اليهود؟

10- وكيف يتم إنزال جسد ميت من على صليب (علامة اللعنة) ثم حمله ثم دفنه ثم دحرجة الحجر على القبر يوم عيد الفصح؟

إذاً، هذا كله تمَّ يوم ذبح خروف الفصح وليس يوم عيد الفصح!

(15) *Sanh*, 4. I; b. *Sanh*. 35a.

عشاء الخميس قبل الفصح

في أقوال آباء الكنيسة

1ـ القديس يوستينوس الشهيد (100ـ165م)[16]:

[لقد أخذتموه (يوستين يوجِّه الكلام إلى تريفو اليهودي) وأسلمتموه في يوم الفصح].

™n ¹mšrv toà p£sca sunel£bete aÙtÒn.

ويعلِّق على هذه العبارة العالِم أويسترلي Oesterley في كتابه «الخلفية اليهودية لليتورجيا المسيحية» بقوله: [إن بهذه العبارة يتضح أن يوستين يعتقد أن العشاء الأخير يتحتَّم أن يكون قد حدث في يوم الخميس فيما قبل الساعة السادسة]، أن الوليمة التي في أثنائها أو بعدها قد تمَّت الإفخارستيا من غير الممكن اعتبارها وليمة الفصح.

2ـ أبوليناري أسقف هيرابوليس (سنة 165م)[17]:

وقد دار في أيامه نقاش حاد عن ميعاد أكل العشاء الأخير، أي تأسيس الإفخارستيا. فأوضح ببراهين كثيرة أن المسيح لم يأكل الفصح في ميعاد الفصح، وأثبت صحة تقليد إنجيل يوحنا، واعتبر الذين يقولون إن المسيح أكل الفصح في 14 نيسان وصُلب في 15 نيسان «جهلة» و «محبي العراك».[18]

(16) Justin Martyr, *Dialogue with Trypho*, 111, ANF I, 254.

والقديس يوستينوس الشهيد من المدافعين المسيحيين الأوائل، وُلد في نابْلُس بفلسطين من أبوين وثنيين، وبعد بحث عن الحق دام طويلاً اعتنق المسيحية عام 130م، وعلَّم الإيمان المسيحي في أفسس حيث التقى برجل يهودي «تريفو» عام 135م. ثم رحل إلى روما وكتب هناك رده على محاجاة تريفو اليهودي، كما كتب دفاعاً عن الإيمان أمام الإمبراطور ماركوس أوريليوس ثم استشهد عام 165م.

(17) وهو أبوليناريوس كلوديوس المدافع عن الإيمان أمام ماركوس أوريليوس (حوالي عام 172م)، وكتب مقالات عن الإيمان وعن الحق وعن القيامة، وتعيِّد له الكنيسة في 8 يونيه. وطبعاً هو غير أبوليناريوس المبتدع (310- 390م) أسقف لاوديكية الذي حُرم.

(18) Apollinarius of Hierapolis, *De Pascha*, PG V, 1297= PG XCII, 80, cited by Oesterley, *op. cit.,* p. 162.

3ـ العلاَّمة هيبوليتس أسقف روما (170ـ236م):

[في الوقت حيث كان يتألم المسيح (أسبوع الآلام) لم يأكل فصح الناموس، لأنه هو كان الفصح الذي أُعلن عنه منذ القديم والذي أُكمل في ذلك اليوم المحدد.][19]

4ـ القديس أناتوليوس أسقف لاودكية (تنيَّح سنة 282م)[20]:

[اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأول، تقدَّس بتسليم الرب، وهذا متوافق في كل شيء مع الإيمان الجامع.][21]

5ـ القديس بطرس خاتم الشهداء بابا الإسكندرية الـ 17 (300ـ311م):

[إلاَّ أنه بعد خدمته الجهارية لم يأكل الخروف، لأنه هو نفسه تألم كحمل في عيد الفصح، كما يعلِّمنا يوحنا البشير واللاهوتي في إنجيله، حيث يقول هكذا: «حينئذ اقتادوا يسوع من عند قيافا إلى قاعة الحكم. وكان الوقت باكراً، ولم يدخلوا قاعة الحكم خشية أن يتنجَّسوا، **فيمتنعوا عن أكل الفصح**» (يو 28:18 ـ الترجمة حسب النص). وبعد ذلك بقليل يقول إنجيل يوحنا: «فلما سمع بيلاطس هذا الكلام أخرج يسوع وجلس على منصة القضاء في الموضع المدعو البلاط وبالعبرانية جباثا. وكان **استعداد الفصح**، وكان نحو الساعة السادسة »(يو 19: 13و14 ـ الترجمة حسب النص)، كما أوضحت الكتب الصحيحة، ونفس النسخة التي كُتبت بيدي البشير نفسه، وقد حُفظت بنعمة إلهية في الكنيسة المقدَّسة بأفسس، وهي الآن هناك يُجلُّها المؤمنون. ونفس البشير يقول: «ثم إذ كان يوم الاستعداد، فلئلا تبقى الأجساد على الصليب في السبت لأن ذلك السبت كان عظيماً، سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويمضي بهم.» (يو 31:19 ـ الترجمة حسب النص)

في هذا اليوم، إذاً، الذي كان اليهود فيه على وشك أن يأكلوا الفصح في المساء، صُلب ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، ليكون ذبيحة للذين يُشاركون بالإيمان في السر المختص به، حسبما كتب المغبوط بولس: «لأن المسيح فصحنا قد ذُبح لأجلنا» (1كو 7:5). وليس كما انساق البعض عن جهل يؤكِّدون بتصميم أنه أُسلم بعد أن أكل الفصح، الأمر الذي لم نتعلَّمه لا من البشيرين القديسين، كما أنه لم يسلِّمنا هذا أي رسول من الرسل هذا.

---

(19) ANF, vol. V, p. 240, I.

(20) هو أصلاً مواطن مصري من الإسكندرية، أسَّس فيها مدرسة فلسفية مشهورة وكان عضواً في مجلس السناتو الروماني لعلو ثقافته. أُقيم أسقفاً مساعداً لأسقف قيصرية فلسطين، ثم أسقفاً لمدينة لاودكية عام 268م.

(21) ANF, vol. VI, p. 151.

لذلك، ففي الوقت الذي كان فيه ربنا وإلهنا يسوع المسيح يتألم من أجلنا بالجسد، لم يأكل من الفصح الطقسي. ولكن كما قلت كان هو الحَمَل الحقيقي، الذي قُدِّم ذبيحة لأجلنا في عيد الفصح الرمزي، في يوم الاستعداد، أعني اليوم الرابع عشر من الشهر الأول.

الفصح الرمزي، إذاً، لم يعد قائماً. لأن الفصح الحقيقي قد صار حاضراً: «لأن المسيح فصحنا قد ذُبح لأجلنا» كما ذكرنا من قبل. وكما علَّم بذلك بولس الرسول الإناء المختار.][22]

6- القديس أثناسيوس الرسولي بابا الإسكندرية الـ 20 (295-373):

[لا نذبح بعد (يوم الفصح) خروفاً مادياً وإنما ربنا يسوع المسيح الحمل الحقيقي الذي ذُبح]
(الرسالة الفصحية الأُولى)

واضح هنا أن ذبح المسيح (الصليب) كان في نفس الميعاد للفصح القديم. وهكذا ألغى الفصح الحقيقي الفصح القديم وكل ما يتعلَّق به.

7- العلاَّمة كلمندس الإسكندري (150-215م):

أورد هذا المَوضوع بتطويل وتوضيح كامل مثبتاً أن المسيح صُلب في الرابع عشر من نيسان في ميعاد ذبح خروف الفصح القديم، وأن الإفخارستيا كانت قبل الفصح[23].

وبالاختصار نجد أكثر العلماء تضلُّعاً في التقليد العبري وجميع الآباء الأقباط والباباوات بصفة عامة يتكلَّمون عن المسيح الفصح الحقيقي الذي ذُبح لأجلنا، وأنه حل محل الفصح الرمزي القديم إحلالاً دقيقاً شمل كل الصفات حتى الظاهرية، وبالتالي التاريخية، على أساس أن المسيح ذُبح في ميعاد الفصح اليهودي تماماً.

وبهذا يكون العشاء السري قد تأسس قبل الفصح، وتكون الوليمة بالتالي وليمة يوم ما قبل الفصح.

✞ ✞ ✞

كما تسوق إلينا أحدث أبحاث العلماء الفلكيين ما يثبت هذه الحقيقة التاريخية المختصة بزمن وتاريخ صلب المسيح، ومنها يتبين أنه كان في يوم الفصح، كما أن الإفخارستيا لم تكن وليمة فصح:

(22)Ibid., p. 282.
(23) Clement of Alexandria, *Fragment*, PG IX, 757 = PG XCII, 81.

[نقلت وكالة الأنباء المسيحية RNS في نيويورك خبراً مفاده أن عالمين بريطانيين توصَّلا بعد أبحاث طويلة إلى تحديد يوم صلب المسيح، وهو يوم الجمعة 3 أبريل.

وهذان العالمان متخصصان في الأبحاث الفلكية في جامعة أكسفورد، الأول اسمه البروفيسور كولين ج. همفري Colin J. Humphreys، والثاني اسمه و. جرايم وادينجتون W. Graeme Waddington وقد نشرا بحثهما في مجلة المؤسسة العلمية الأمريكية Journal of the Amer. Scient. Affil. في عدد مارس 1985، وبنيا هذا البحث على حسابات فلكية دقيقة وتفاسير متعددة للكتاب المقدس.

وقد اقتبسا في بحثهما من كتابات القديس البابا كيرلس الإسكندري (بابا الإسكندرية الـ 24 في عداد بابوات وبطاركة الكنيسة القبطية)، ومن وثائق كتبها بيلاطس البنطي الوالي الروماني، والذي في عهده صُلب المسيح، ذُكر فيها أن القمر تحوَّل لونه إلى الأحمر الدموي أثناء عملية الصلب. ويقول العلماء أن مثل هذا التغيُّر في اللون يمكن أن يحدث في حالة واحدة فقط وهي خسوف القمر نتيجة لكسوف الشمس.

وقال هذان العالمان أنه بمراجعة الحسابات الفلكية فإن المرة الوحيدة التي رُئي فيها خسوف للقمر في منطقة أورشليم وفي الفترة ما بين عامي 26-36م (وهي المدة التي من المؤكَّد أن يكون المسيح قد صُلب خلالها) كانت في يوم الجمعة 3 أبريل عام 33م. ويذكر الإنجيل أن المسيح بدأ خدمته وهو في عمر 30 سنة وأن خدمته حتى الصليب استمرت 3 سنوات ونصف.

ويقول البروفيسوران همفري ووادينجتون أن لهذا التاريخ أهمية ليست بقليلة. وهما يعتقدان في صحة هذا التاريخ نسبة إلى عمر المسيح (المتفق عليه) وقت الصلب، وكذلك بالنسبة لتاريخ وطبيعة العشاء الأخير الذي أكله المسيح مع تلاميذه قبل الصلب.

فقد أعلنا بأن عملية الصَلْب تمَّت في يوم عيد الفصح عند اليهود أو اليوم السابق لهذا اليوم الذي كان ينبغي فيه على اليهود بحسب طقوسهم أن يذبحوا خروف الفصح. وهذا يتفق مع إيمان الكنيسة بأن المسيح كان هو الفصح الحقيقي الذي سيكفِّر حقاً عن خطايا البشرية.

وفي الوقت نفسه أعلن هذان العالمان أن العشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه كان وليمة من ولائم الفصح في الليلة التي تسبق عادةً الليلة التي يأكل فيها اليهود خروف الفصح.][24]

(24) عن مجلة: Orthodoxy Canada, vol. 12, No. 4, July-August 1985, p. 18